

يحفل بالدفاع عن نفسه، وإنما أخذ يسخر ممن اتهموه، بل من القضاة أنفسهم، ويتوجع لما يصيب النفوس من فساد، ويود لم استطاع أن يتم الرسالة التي بدأها، وهي تطهير الشباب من مثل هذا الشر والفساد، ولو استرحم سقراط لظفر بالبراءة ولكنه لم يفعل، فأصدر القضاة حكمهم عليه بالموت، فتقبله راضيا في سبيل حرية الفكر، والدفاع عن الحق الصراح.

لكن مما لا نزاع فيه أن الصورة الروحية لذلك الفيلسوف، كانت صورة رائعة قوية، يقول فيه الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" (إنه اشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق) ويقول فيه آخر: (كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند الهبوب، وكالراحة للمكروب، وأثره في العقول والخواطر كثر الماء في الهواجر). أما في العصر الحديث، فلنا في الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مثل واضح لما يلقيه المصلح الاجتماعي من مقاومة، وما يصادفه من عنت؛ فقد كان - رحمه الله - كما قال عن نفسه في تقرير له عن حياته:

"و ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأئمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، وهناك أمر آخر كنت من دعائه، والناس جميعاً في عمى عنه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة. "دعونا إلى الاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون، وتغلبهم شهواتهم، وأنه لا يرد عنه خطئه، ولا يثقف طغيان شهوته إلا نمح الأئمة له بالقول والفعل. جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس له عبيد أي عبيد" فإمام له هذه العقيدة، وينطوى صدره على مثل هذا الإيمان، ثم يأخذ في تنفيذه، والقيام على تطبيقه، لا بد أن يصيبه في سبيل خطته الإصلاحية ما أصابه من اضطهاد ومشقة،